

أحاديث رمضان ١٤٣٧ . درر ٢ . الحلقة السادسة والعشرون : قيم الإسلام في التعامل مع الأزمات والمحن والمصائب ، كيف نفهم المصيبة وما الهدف منها وما أنواعها ؟ كيف يشد الله عباده إلى بابه بالمصائب ؟ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٧-٠١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ يقول تعالى :

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

[سورة الشرح : ٥-٦]

كيف نفهم المصيبة ؟ وما الهدف من المصيبة ؟ وما أنواعها ؟ كيف يتعامل الله مع خلقه في المصائب ؟ وكيف ينقلهم من خلال المحن إلى المنح ؟ وكيف يشدهم بالشدائد إلى بابه جلّ جلاله ؟ تابعوا هذا اللقاء الطيب بعنوان : قيم الإسلام في التعامل مع المحن والأزمات لتجدوا إن شاء الله تعالى الجواب عن هذه الأسئلة وغيرها .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين .

أخوتي الأكارم ؛ أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، حيث نتناول فيه قيم الإسلام في التعامل بين أفراد المجتمع بما يحقق مجتمعا يرضي الله عز وجل ، ويرضي رسوله صلى الله عليه وسلم ، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يسرني أن أرحب باسمكم بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم حديثنا اليوم عن قيم الإسلام في التعامل مع الأزمات والمحن والمصائب ، المحن تصيب الفرد وتصيب المجتمعات بشكل عام ، قبل أن نبدأ في الحديث عن قيم الإسلام في التعامل مع المحن والمصائب والأزمات أحبّ أن أسمع منكم مقدمة حول فلسفة الأزمة ، المحنة التي تصيب المؤمن في حياته .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

أستاذ بلال جزاك الله خيراً ، الله عز وجل واجب الوجود ، وما سواه ممكن الوجود ، معنى ممكن الوجود يمكن أن يكون أو لا يكون ، وهناك معنى آخر ممكن الوجود أي أن يوجد على ما هو عليه أو على خلاف ما هو عليه ، فكان من الممكن أن يكون الكفار في كوكب والمؤمنون في كوكب ، أو الكفار في حقبة والمؤمنون في حقبة ، أو الكفار



الحق لا يقوى إلا بالتحدي

في قارة والمؤمنون في قارة ، إذاً لا يوجد أي مشكلة ، و لا حروب ، ولا دعوة إلى الله ، ولا شيء إطلاقاً ، لكن شاعت حكمة الله أن نعيش معاً في مكان واحد ، وفي زمان واحد ، بعض من علل هذه الحكمة بأن الحق يقوى بالتحدي ، وبأن أهل الحق لا يستحقون الجنة إلا بالبذل والتضحية ، فمعركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية ، وكأن هذه المعركة وراء النكبات التي نعيشها ، وراء الآلام، وراء المصائب ، لكن كمنطلق فكري عقدي هذه السيارة لماذا صنعت ؟ لتسير ، لم فيها مكبح والمكبح إيديولوجياً يتناقض مع علة صنعها ؟ ضمان لسلامتها ، فلذلك الإنسان خلق لجنة عرضها السموات والأرض والدليل القطعي ، قال تعالى :

﴿ إِنْ مِنْكُمْ مِنْ رَبِّكَ وَوَلَدِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود: ١١٩]



إذا اكتشف المؤمن الحكمة من مصيبته انقلبت إلى عطاء مبطن

خلقهم ليرحمهم ، إذا غفلوا أو انحرفوا أو ضلوا لا بد من وسائل تعيدهم إلى جادة الصواب ، وقد تكون المصائب ، لأن الله عز وجل ثبت ملايين القوانين ، لكن لحكمة بالغة حرك قانون الصحة

قيم الإسلام في التعامل مع الأزمات والد

والرزق، كأن الله عز وجل يؤدبنا ويربيننا ويدفعنا إلى طاعته بعنصري الصحة والرزق ، فلذلك المؤمن إذا فهم على الله حكمته من المصيبة ، المصيبة انقلبت إلى عطاء مبطن ، إذا كشف لك الحكمة في المنع عاد المنع عين العطاء ، ففهم المؤمن للمصيبة فهم مهم جداً ، بل أنا أرى أن فهمه للمصيبة أحد كليات الدين ، أنت حينما تفهم أن هذا المكبح لسلامة السيارة ، أو حينما تمشي في الفلاة وترى لوحة كتب عليها : ممنوع التجاوز حقل ألغام ، لا تشعر ولا لثانية واحدة أن هذه اللوحة وضعت حداً لحريتك إنما وضعت لتضمن سلامتك ، هذا الفهم العميق للمصيبة .

لكن بالمناسبة يجب أن نفهم المصيبة أو ما يناقض الرحمة فهماً موضوعياً ، الأنبياء يبطلون ، ابتلاء الأنبياء كشف لكمالهم ، والمؤمنون يبطلون ، ابتلاء المؤمنين دفع ورفع ، ليضاعف سرعته إلى الله ، أو ليزداد أجره عند الله ، ومصائب أهل الكفر والنفاق ردع وقصم ، خمسة أنواع ، أنا حينما أفهم سلبيات الحياة على أنها علاجات ، على أنها وسائل دفع ، وسائل حفز إلى مزيد من الطاعة للمؤمنين ، وسائل ردع وقصم لغير المؤمنين ، أكون قد توازنت في حياتي.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم هنا يحضرني سؤال ؛ البعض يقول : هناك شعوب غارقة بالإباحية وفي البعد عن الله عز وجل ومع ذلك تعيش الآن في أبهى حالاتها وشعوبنا المسلمة مستضعفة في مشارق الأرض ومغاربها فما سرّ هذا التباين ؟

الحكمة من التباين بين الشعوب المسلمة و الشعوب الغارقة بالانحراف :

الدكتور راتب :

والله أنا أفهم هذا السؤال وأجيب عليه على الشكل التالي ، أب عنده ثلاثة أولاد ؛ ولد منغولي لا يوجد أمل بالشفاء إطلاقاً ، وولد آخر ذكي جداً ومتفوق أيضاً تاركه ، وعنده ولد ثالث ذكي جداً ومقصر ، فكان التربية والمضايقات والشدة تصيب هذا الثالث ، الدليل الأول المنغولي، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بِغَتَّةٍ ﴾

[سورة الأنعام : ٤٤]

كل أنواع الانحراف موجودة في العالم الغربي ؛ وبلاد جميلة ، وبضاعة من أفضل ما يكون ، وهيمنة ، وسيطرة ، تماماً كما يقول الطبيب لمرضى



الشعوب الغارقة في الانحراف فتح الله عز وجل لهم
أبواب كل شيء ليفرحوا في الدنيا

بالسرطان : كُلُّ ما سُئِت ، كل أي طعام تشاء ، أمل بالشفاء لا يوجد ، ويقول للإنسان الصحيح الذي لا يحتاج إلى أي معالجة: كُلُّ ما سُئِت أيضاً ، أما هذا الذي يعاني من التهاب المعدة حاد فيخضعه لحمية قاسية جداً ، هذا الثاني له أمل بالشفاء ، فنحن نرجو الله أن نكون من هؤلاء الذين فينا أمل بالشفاء .

الأستاذ بلال :

نسأل الله ذلك ، أستاذنا الكريم لكل قانونه ، كأننا نحن نعيش قانوناً قال تعالى :

﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة الروم : ٤١]

وهم يعيشون بقانون آخر ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأنعام : ٤٤]

أستاذنا الكريم الآن هذا الذي يقع في العالم اليوم تسقط صواريخ وتسقط قنابل أبيت أمم وبيوت وشعوب ، هذا كله يقع بعلم الله ؟

تعلق كل شيء بعلم الله و قدرته :

الدكتور راتب :

طبعاً ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾

[سورة الأنعام : ٦٥]

هذه الصواعق سابقاً و الصواريخ لاحقاً ، قال تعالى :

﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾

[سورة الأنعام : ٦٥]

هذه الزلازل سابقاً والألغام لاحقاً ، قال تعالى :

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾

[سورة الأنعام : ٦٥]

لأن الطغاة معهم ورقة رابحة إنها الورقة الطائفية ، والدليل قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعاً يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[سورة القصص : ٤]

الآن دقق ، قال تعالى :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

[سورة القصص : ٥-٦]

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم ، نتابع الحديث إن شاء الله ، فاصل ونتابع.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عدنا إليكم من جديد لنتابع بصحبتكم وبصحبة أستاذنا الفاضل الحديث عن قيم الإسلام في التعامل مع المحن والأزمات ، أستاذنا الكريم كنا قد انتهينا قبل الفاصل إلى قضية مهمة جداً وهي أن هذه المصائب التي تقع إنما تقع بعلم الله عز وجل ولحكمة قد نعلمها، وقد نجهلها ، الآن سيدي الفاضل ربنا يقول :

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

[سورة الشرح : ٦]

لن يغلب عسر يسرين ، كيف نلمح بوادر الفرج من خلال الأزمات التي يعيشها العالم ؟

مراحل التأديب الإلهي للإنسان :

١ . الهدى البياني :

الدكتور راتب :

لا بد من هذه الملاحظة ، الله عز وجل - إن صح التعبير - سياسته في هداية خلقه كما يلي ؛ أول مرحلة اسمها الهدى البياني ، أنت مرتاح ، صحتك طيبة ، زواجك ناجح ، أولادك أبرار ، لا يوجد عندك مشاكل إطلاقاً ، تستمتع إلى تفسير آية ، إلى خطبة جمعة



تقرأ كتاباً ، تفسير سورة ، تجلس في جلسة فيها رجل داعية تستمع إلى حديثه، تتابع برنامجاً دينياً ، تتابع كتاباً معيناً ، هذه المرحلة راقية جداً و لا يوجد بها أي مشكلة ، أنا أسميها الهدى البياني ، الله تفضل علينا فبين لنا ، استمعت إلى تفسير سورة يوسف شيء جميل ، البقرة ، آل عمران ، سمعت خطبة لخطيب متفوق وأقنعك بأشياء

كثيرة تابعت هذا الحوار ، زارك رجل داعية كانت جلسته رائعة جداً انتفعت منه ، هذه مرحلة لطيفة وراقية جداً اسمها الهدى البياني ، فقط بيان من خطاب إلى ندوة إلى قراءة إلى مطالعة إلى حوار إلى إلى ، هذه المرحلة الموقف الكامل منها أن تستجيب لله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

لذلك الشيء بالشيء يذكر الذي أعرض عن الله عز وجل وصف من قبل الله عز وجل بأنه ميت ، قال تعالى :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

والذي أعرض عن الله عز وجل وصف بأنه كالمادة ، قال تعالى :

﴿ كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّةٌ ﴾

[سورة المنافقون: ٤]

والذي أعرض عن الله عز وجل وصف كأنه كالأنعام ، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان: ٤٤]

وفي آية أخيرة ، قال تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

[سورة الجمعة: ٥]

فما لم نستجب لدعوة الله ، ما لم نتعامل معه بالعقل والنقل الصحيحين ، ما لم نبذل ، ما لم نضبط سلوكنا عندنا مشكلة ، فالمرحلة الأولى الهدى البياني ، الموقف الكامل منها الاستجابة ، والآية الدقيقة لها قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

٢ . التأديب التربوي :

هذا الإنسان دعي إلى الهدى البياني فلم يستجب ، الآن الله عز وجل يخضعه لأسلوب آخر اسمه التأديب التربوي كما تفضلت بالآية قبل قليل ، قال تعالى :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

6

كيف نفهم المصيبة وما الهدف منها



من دعي إلى الهدى البياني ولم يستجب أخضعه الله تعالى للتأديب التربوي

ضيق مادي ، ألم في الجسم ، مرض ، شدة ، قهر ، قال تعالى :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة : ٢١]

الآن الموقف الكامل للإنسان إذا وصل إلى المرحلة الثانية - التأديب التربوي - أن يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾

[سورة الزمر : ٥٣]

٣ . الإكرام الاستدراجي :



من لم يتب لله عز وجل ابتلاه بالإكرام الاستدراجي

بالهدى البياني لم يستجب ، بالتأديب التربوي لم يتب ، هناك مرحلة ثالثة اسمها الإكرام الاستدراجي ، يفتح له الدنيا ، ينجح في عمله ، في تجارته ، ينجح في شراء بيت ، في شراء مركبة فارهة ، هذا اسمه إكرام استدراجي ، فالبطولة في هذه المرحلة الشكر ، بالهدى البياني الاستجابية ، بالتأديب التربوي التوبة ، بالإكرام الاستدراجي الشكر .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم الشكر هو فهم أنه إكرام استدراجي ؟

الدكتور راتب :

لا هو فهم أنه إكرام ، ألا يقتضي هذا الإكرام أن تقول : يا رب لك الحمد ؟

الأستاذ بلال :

إذاً عاد إلى الله ؟

الدكتور راتب :

عاد إلى الله شاكراً ، لكن بالمناسبة الشيء بالشيء يذكر الشكر في حقيقته عمل ، قال تعالى :

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾

[سورة سبأ : ١٣]

أن ترد الجميل الذي أكرمك الله به بخدمة عبادة ، هذا هو الشكر .

لو فرضنا لا بالهدى البياني استجاب ، ولا بالتأديب التربوي تاب ، ولا بالإكرام الاستدراجي شكر ، بقي له القمص ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

[سورة الأنعام : ٤٤]

فكل البطولة لأخواننا المشاهدين أن نكون في المرحلة الأولى في الهدى البياني .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم تستجيب وأنت معافى في أهلك ومالك ، أرى أن نعود إلى : لن يغلب عسر يسرين ، وإلى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

[سورة الشرح : ٦]

فهل في العسر بواذر اليسر؟

بطولة الإنسان أن يرجع إلى الله عقب المصيبة التي تصيبه :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن المعنى الأصلي إن بعد العسر يسراً ، لكن رحمة الله عز وجل بينت أن هذا العسر الذي أنت فيه معه اليسر ، مع تظمن ، الله عز وجل في الحديث القدسي :

((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا يا عبادي ، كُلُّكُمْ ضالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ، كُلُّكُمْ جائعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فاستطعموني أُطْعِمْكُمْ))

[مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

إلى نهاية الحديث :

((... ومن وجد غير ذلك - هنا - فلا يُلْومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

فالبطولة أن ترجع عقب المصيبة ، فذلك قال تعالى :

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

[سورة التغابن : ١١]



بطولة الإنسان أن يرجع إلى الله تعالى عقب المصيبة

الآن ندقق ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة التغابن : ١١]

يهدي قلبه إلى علتها ، الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا ينبغي أن يكون ساذجاً ، الله عز وجل قال :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[سورة النساء : ١٤٧]



كأن هذا الكون مسخر لنا تسخير تعريف ، موقفنا من تسخير التعريف أن نؤمن ، ومسخر أيضاً لنا تسخير تكريم، موقفنا من تسخير التكريم أن نشكر ، فالفرد إن آمن وشكر حقق الهدف من وجوده ، عندئذ يسمى فالحاً ، الفلاح تحقيق الهدف ، أما إنسان جمع ثروة طائلة ، هذا نجاح ، نجح في جمع المال ، تسلم منصباً رفيعاً ، نجح في تسلم هذا

المنصب ، مثلاً نجح بمكانة اجتماعية كبيرة ، نجح بسفر سياحي زار معظم بلاد الأرض ، هذه كلها نجاحات ، لكن الفلاح شيء آخر ، الفلاح أن تحقق الهدف من وجودك ، إنسان في الجامعة هناك ندوة اشترى أطيب الشطائر ، وهناك بلياردو لعب ونجح في لعبته ، وهناك حديقة تمتع بها، وهناك مكتبة ، نقول له : علة وجودك في هذه الأمكنة الدراسة ، فإن درست ونجحت حققت الهدف من وجودك ، وعندئذ أنت فالح ، أما أمضيت وقتاً طويلاً بالحدائق الجميلة ، استمتعت بصحبة الأصدقاء ، تناولت طعاماً طيباً ، هذه كلها نجاحات محدودة ، لذلك الآن لا يسمى النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً وعندئذ يسمى فلاحاً ، قال تعالى :

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الأعراف : ١٥٧]

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، أراني مضطراً إلى حلقة أخرى نتابع بها موضوع الأزمات وقيم الإسلام في التعامل مع الأزمات ، فقد ضاق الوقت عن المتابعة .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً
المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ، ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي
لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين